المجلس الدولي للغة العربية

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية

الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي

7–10 مايو 2014 الموافق 8–11 رجب 1435 في دبي

ملخص بحث بعنوان

إعداد

الدكتور/ طارق عبد الوهاب

E-mail :
Tel :

اللغة العربية ودروها التاريخي في النهوض الحضاري

الحمد لله رب العالمين ، أنزل على عبده الكتاب قرآناً عربياً ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

سوف يدور بحثنا بالدراسة والتحليل عن واقع اللغة العربية في الحاضر وما تلاقيه من ايجابيات وكيفية تنمية هذه الايجابيات ، وما تعانيه من سلبيات وطرق إزالتها ، مع وضع رؤية مستقبلية لواقع اللغة العربية على كافة الأصعدة ، واستغلالها كثروة دافعة للتقدم والنهوض الحضاري للأمة .

وسوف يستعرض البحث بالتوضيح والتحليل ، إجمال ما يلي :

إن الثقافة العربية تتكون من مكونين رئيسيين : اللغة العربية والإسلام، وهما متلازمان ومترابطان ، ومن هنا جاء إصرار الكثير على تسميتها : " الثقافة العربية الإسلامية " .

إن اللغة هي وعاء العلوم جميعاً ، وأداة الإفهام والتعبير العلمي ، والفني والعادي ، ووسيلة التأثير في العقل والشعور بأدبها ونثرها وشعرها وحكمها وأمثالها وقصصها وأساطيرها ، وسائر ألوانها وأدواتها الفنية .

ومن هنا فإن كل من يحارب اللغة العربية يحارب بالنتيجة الثقافة العربية، وكان من ديدن أعداء هذه الأمة إضعاف الفصحى ، وإشاعة العامية ، وإعلاء اللغة الأجنبية على اللغة القومية ، وإلغاء الحرف العربي في الكتابة ، وإحلال الحرف اللاتيني محله .

إذا كانت الثقافة هي الحصيلة المشتركة من الدين واللغة والمعرفة والفن والأدب والقيم والتقاليد والتراث والتاريخ , ومعايير العقل والسلوك, وغيرها من مقومات , فإن اللغة بين هذه المقومات هي أخص خصائص الثقافة , فهي من جهة تعتبر حاملاً للثقافة, ومن جهة أخري وسيلة للتفاهم بين الأفراد والجماعات ، واللغة كأحد مكونات الأمة هي رمز وجودها, وبقدر أصالة اللغة والمحافظة عليها يكون الحفاظ علي هوية الأمة وكيانها ،إن ثقافة كل أمة كامنة في لغتها, فاللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية للأمة وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية , ويقول البعض : انه يمكن صياغة تاريخ البشرية علي أساس من صراعاتها اللغوية ،من هنا يأتي الحديث عن اللغة العربية , كأحد مكونات الأمة وسبب لنهضتها, فهي لغة حية قادرة علي تلبية حاجات أبنائها تبعاً لسنة العصر ومبدأ الارتقاء والتطوير , لأن أحد أهم السمات والمعاني للغة الحية ،هي قدرتها علي استيعاب الحديث من العلوم ، والتكيف مع وسائل البحث والتكنولوجيا الحديثة .

ويعالج البحث واقع اللغة العربية في الحاضر ورؤيتنا المستقبلية ، ولعل واقعنا المعاصر للغة العربية كشف عن ثمة انفصام بين هويتنا وثقافتنا ، وهو واقع يحكم مسبقاً على مشاريعنا بالعقم ، فالوطن العربي تمتلك شعوبه هوية تختلف عن هوية الشعوب الأخرى، ولا يمكن بحال أن تتفاعل مع ثقافتها ، بل تنبهت مؤخراً إلى الغزو الثقافي الذي رافق الغزو الإعلامي وأصبح موضوع بحث ونقاش،يطرح هذا في أوساط المؤسسات الثقافية التي تقف حيرى أمام فشلها في الرقي بثقافة الشعوب وتنميتها .

إن الجدلية بين ثقافة المجتمع وقيمه لا يمكن أن تنفصم ، وكل تنمية للثقافة لا تنطلق من لغة وقيم المجتمع الذي تطرح فيه هي عقيمة ، ومن ثم فإن الشعب العربي لا يمكن أن يتفاعل مع ثقافات تتنافى مع لغته وقيمه ، وإن سميت ثقافة عربية .

وثقافتنا العربية من أغنى الثقافات العالمية وأهمها ، لأنها ترتكز على لغة أنتجت حكماً وخطباً وأمثالاً وشعراً ، تجلت فيه العبقرية العربية قبل الإسلام وبعد شروق شمسه ، وكانت اللغة العربية تمثل صورة واقعية لحياة العرب ، ومرآة صادقة لتفكيرهم ومشاعرهم ومسرح خيالهم ، وتنزل القرآن الكريم بالعربية فأغناها معاني سامية وبياناً رائعاً ، وفتح لها سبل الانتشار في مشارق الأرض ومغاربها .

ونحلل في بحثنا الدور الرائد الذي قامت به اللغة العربية في التقدم والنهوض الحضاري ، ودورها العظيم في انتشال علوم أصحاب اللغات الأخرى من الاندثار والإهمال والنسيان .

أولاً : مفهوم اللغة العربية [1]:

مصطلح" اللغـة" في الدلالة اللغوية مشتق من "لغا"، اللغو واللغـا؛السقـط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على الفائـدة. ومصدرها الأصلي "لغوة "على وزن "فعلة" من لغوت؛ إذا تكلمت.

وهـي فـي الاصطـلاح، ظـاهـرة اجتمـاعية يكتسبـها الإنسـان من المجتمع، قال:"ابن جني - ت 392هـ - ": "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

فهذا المفهوم الذي وضعه أبو الفتح عثمان بن جني، يمدنا بمجموعة من المنطلقات المبدئية في حد"اللغة " أولاها : أن طبيعة اللغة أصوات .

وثانيها : إن وظيفتها الأساسية تتمثل في التبليغ والتواصل،وهي بالنسبة للفرد "وسيلته للتعبير عن مشاعره وعواطفه وإحساسا ته وما ينشأ في ذهنه من أفكار".

وثالثها : أن اللغة خاصية إنسانية ترتبط بالإنسان دون الحيوان؛ولذلك عدها "وليام ويتني" مؤسسة اجتماعية شأنها شأن باقي المؤسسات التي ينشئها أفراد المجتمع، باعتبارها "أداة اجتماعية يوجدها المجتمع للرمز إلى عناصر معيشته وطرق سلوكه"

وتختلف اللغات باختلاف المجتمعات، فهي إذن من أخص مميزات الإنسان، حيث فطر على تلقيها من مجتمعه بدءا من طفولته. فلا كيان لها دون الأنام، فإن عاشوا عاشت وإن ماتوا ماتت، فاللغة ملك الأمة، وعنوان حضارتها؛ ولذا كانت من المقدسات؛ لأنها سجل حافل دونت فيه الأمة أحاسيسها الدينية ومآتيـها التاريخية، ومنجـزاتها العلمية، وبها عبر الشاعـر عن آمال أمته وآلامها.

اللغة العربية في الماضي:

والعربيـة من اللغـات السـامية القديمة الحية، ولكنها مع هذا القدم لم تثبت أو تجمد على حـال وإنما سـايرت روح كل عصر، وعبرت عنـه بحيث أصبحت أنموذجـا في التواصل والعطاء من خلال مخزونها الذي لا ينفذ مع مرور الأيام، وإنما يتجدد هذا المخزون لكي يوائم ويساير متطلبات كل عصر، والدليل على ذلك أن القـارئ العربـي يستطيع أن يفهم اليوم ما كتب باللغة العربية منذ ألف وخمسمائة عام، في حين لا يستطيع القارئ الإنجليزي -مثلا – فهم اللغة التي كان يكتب بها " شكسبير" منذ حوالي أربعمائة عام فقط ، فلله ذر من قال بلسانها [2]

وسعت كتاب الله لـفظاً و غاية وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسـماء لمخترعات ؟

وإن من الحقائق التي لايمكن تجاهلها، هو أن كل أمة تعتز بنفسها وبوجودها، لابد لها أن تعتز بلغتها، ولا يوجد من ينكر أو يحرم على الآخرين من أن يعبروا عن مشاعرهم بلغتهم؛ لذلك فإن من أبشع أنواع السيطرة على الآخرين هو مصادرة مشاعرهم بمصادرة لغاتهم.

وعندما يتحدث الإنسان عن لغته، فإنه يحـاول بكل ما أوتي من العلم، وقـوة الحجـة أن يبرهن على أن لغته من أهم اللغات، وأنها لغة حية، وأنها لغة مقدسة إلى غير ذلك من النعوت التي يحاول سبغها عليها؛ لتحبيبها أو لترجيحها، أو للتغني بآصالها وخلودها ونحن معشر العرب يحق لنا الاعتزاز بلغتنا والاستشراف بانتمائنا إليها،فهي عنوان هويتنا وأهم رابطة بين الناطقين بالضاد، وهي أهم صلات الماضي بالحاضر والمستقبل، فلغتنا من أغزر اللغات مادة ، وأطوعها في تأليف الجمل وصياغة العبارات، وأنها لغة ثرية بالألفاظ والكلمات التي تناسب مدارك أبنائها، وهي أمتن تركيبا، وأوضح بيانا،

---

[1] أنظر : -ابن جني، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجار، ص 33 وأنظر : محمود أحمد السيد، نقلا عن عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، ص17./ فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ص21 / تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 28

[2] أنظر :- حافظ إبراهيم : الديوان

وأعذب مذاقا عند أهلـها ، فالعلـم يزيـن بالعربيـة، قال عبد الله بن المبارك رضـي الله عنه: "لا يقبل الرجل بنوع من العلوم ما لم يزين علمه بالعربية" [3]

ولكننا إذا نظرنا إلى حال لغتنا اليوم فإننا نجدها قد تقهقرت عن وضعها عما كانت عليه في العهود الغابرة، مقارنة بمثيلاتها من اللغات الأوروبية، ولعل مـن أسبـاب تخلفها عن اللحاق بركب اللغات العالمية – كالإنجليزية مثلا – سببه هو تلك الهـوة الواسعـة بين المجتمعات العربية، وإنجازات العلم ،والتكنولوجيا، والمعرفة بعامة.

أضف إلى ذلك أن الاعتمـاد على الأطـر الخشبية القديمة في تدريسـها له أكبـر الأثر في تخلفها، فطريقة التلقين على سبيل المثال لا الحصر، لم تعد ذات جدوى كمـا كانت عليه في العصـور السـابقة، حينما كان المعلم المصدر المبـاشر الذي تستقـى منه المعلومات، ومحور المعرفة، فقد تغيرت مفاهيم التدريس وطرائقه وأساليبه، وتعددت أيضا قنوات ومنافذ الحصـول على المعرفة العلمية .

اللغة العربية في الحاضر :[4]

فإذا كـانت العربية قديمـا تعكس ما وصل إليه علماؤنا الأجلاء من تقدم علمي في شتـى المجـالات – إذ أثبتت مرونتها الفائقة من خلال التطـور الذي أصـاب مدلولات مفرداتها، وطرائـق التعبير عنـها إلى أن صارت في فتـرة وجيزة مـن نزول كتـاب العربية الأول (القرآن الكـريم) لغـة العلـوم العقلية، كالطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك ... الخ. مثلما هي لغة العلوم النقلية، كالفقه، والكلام ... الخ، وغدت لغة العلم الأولى التي لاتضاهيهـالغـة في القرون الوسطى ، وخلفت آثارا تشهد بعبقرية علمائها الذين عرفوا للغتهم قدرهـا فصعدوا بها جميعا كما صعدت بهم إلى عنان السمـاء – فهي اليوم ليست على أحسـن ما يرام؛ لما أصابها من سبات عميق ضرب على آذان أبنائها، حيث أصبحت تجابـه تحديا خطيرا بات يهدد كيانها ومكانتها الحضارية في اجتياز مرحلة هامة من مراحـل تطورها، مما يفرض علينا واجب حل مشكلاتها المزمنة والنهوض بها.

ويتوقف ذلك على مدى حسن استخدامنا للمنجزات العلمية في معالجـة قضـايا الدرس اللغوي التقليدية، ومسايرة قطار المدنية، من الناحيتين: النظرية والتطبيقية ، بعدما ظل مفهوم الأمية لدى المجتمعات المتقدمة مرادفا لجهل الأفراد في التفاعل مع ما توصل إليه العلم الحديث من اختراعات لمختلف الوسائل التقنية، كالكمبيوتر، والانترنيت ...الخ. فالتقنية تمثل الأمل في التصدي لكل العقبات، لما لها من أهمية كبرى في تعزيز التعاون في مجال التعليمية، وفي إحداث التكامل بين الدراسات الاجتماعية والأدبية... فالكمبيوتر على سبيل المثال الذي ظهر في كنف اللغة الإنجليزية ، ونالت على إثره عناية أوفر بين لغات العالم المختلفة، من حيث المعالجة الآلية ،ساهم بقسط كبير في ذيوعها وانتشارهـا وكذا في تأصيل الصلة بين اللغـة وتكنولوجيـات المعلومـات التي كان لهـا الفضل في اكتشاف وتعميق جوانب التحليل اللغوي.

اللغة العربية وتـحدياتها:

وعليه من الضروري إذا أردنا الارتقاء بلغتنا العربية، التي فيها من أسباب النمو ما يحفظ عليها شباب الدهر، ربطها بالتقنية الحديثة في شتى المجالات، في تدريسها، وفي ترجمة ومعالجة النصوص التراثية كما فعل اليهود الذين خطوا خطوات واسعة جدا في مجال الترجمة الآلية بين اللغـات العالمية ولغتهم العبرية، خاصة وأن العربـية أثبتت أنـها من أكثر اللغات قابلية لاستعمال الكمبيوتر في معالجتها آليـا؛ لكونها تجمع بين كثيـر من الخصائص اللغوية المشتركة مع اللغات الأخرى،حيث تشتمل المعالجة الآلية للغة العربية على شقين أساسين:-الشق الأول-يشمل نظام البرمجة المستخدمة في المعالجة الآلية أو بواسطة الكمبيوتر، للفروع اللغوية المختلفة، مثل:

---

[3] انظر: سعيد أحمد بيومي، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2002 ص 102

[4] انظر: سعيد أحمد بيومي، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2002 ص 108

نظام الصرف الآلي الذي يقوم بتحليل الكلمات إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية، أو يعيد تركيبها من هذه العناصر ،مثل تحليل الكلمة،باعتبارها المادة الأساسية التي يبحث فيها علم الصرف

نظام الإعراب الآلي،ويتولى إعراب الجمل آليا،فعند كتابة أية جملة لغوية؛نريد إعرابها،نطلب من الجهاز تقديم مختلف الأوجه الإعرابية لها، وهذا لا يتأتى إلا بعد أن يقوم علماء العربية،وبخاصة النحاة بوضع برمجة آلية تخص مادة النحو العربي في الجهاز، وهذا بطبيعة الحال يتطلب تضافر الجهود من لدن الغيورين على العربية

نظام التحليل الدلالي الآلي الذي يستخلص معاني الكلمات استنادا إلى سياقها،ويحدد معاني الجمل استنادا إلى ما يسبقها وما يلحقها من جمل،وذلك علاوة على قواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية ومنهجيات هندسة اللغة، ولعل هذا من الإشكالات التي ما يزال البحث فيها جاريا؛ للوصول إلى آلية حديثة،تمكن الجهاز من تحديد وشرح أي نص لغوي، وفق سياقه اللغوي، بحيث يصبح الكمبيوتر وسيلة مساعدة للباحث في تنقيح أبحاثه، شكلا ومعنى،وتركيبا،بل يصبح هو نفسه يقوم بإنجاز البحث أو المقال،وما علينا نحن سوى تقديم له المعلومات والأفكار، ليعطينا المقال أو النص جاهزا.

والشق الثاني- "يتضمن التطبيقات التي تقوم على النظم اللغوية الآية السابقة،والتي تشمل على سبيل المثال لا الحصر: الترجمة الآلية، والتدقيق الهجائي والنحوي، والفهرسة والاستخلاص الآلي، وفهم الكلام ونطقه آليا"

أسس مواجهة تحدياتها:

وعليه فإن بعث العربية حية،لكي تكون قادرة بحق على تحديات العولمة، يجب أن يقوم على ثلاثة أسس :

أولاً: ضرورة العودة بها إلى أصالتها،فكل بناء جديد يجب أن يؤسس على أصل متين وتابت.

وثانياً: إثبات قدرة اللغة العربية على التفاعل مع التجربة العلمية العالمية الحديثة واستيعابها للحضارة الغربية،قديما وحديثا، وثالثها:تفعيلها من أجل التعبير عن تطلعات وآمال الشعوب العربية،بتحقيق وحدة قومية لها خصائصها ومقوماتها المتميزة، وعلى حكومات الأمة العربية.

ثالثاً: العناية بعلمائها وأدبائها وشعرائها، ورجال الفكر فيها، وسن ضوابط تلزم أبناء الوطن، التعامل بها، وأية مخالفة من لدن بعض المتفيهقين باللغة الأجنبية تفرض عليهم غرامة مالية؛ومن تم تسيج العربية بسياج يقيها من عبث العابثين وشرود الشاردين، فيعلو شأنها .

واللغة العربية تُعد من أقدم اللغات الحية على وجه الأرض التي يرجع الباحثون عمرها إلى أكثر من ألف وستمائة عام، انتشرت في معظم أرجاء المعمورة، وأصبحت لغة العلم والأدب والحضارة، والسياسة، واستطاعت أن تستوعب الحضارات المختلفة لارتباطها بعدد كبير من العلوم والآداب فهي العروة الوثقى التي تجمع الشعوب العربية والإسلامية.

قدرات لغوية :

إن اللغة العربية تحتل أهمية قصوى نظراً لتنوع العناصر في تكوينها، النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، وعلاقتها بالفكر، فهي أداة التعبير الفكري ومستوياته في الوعي والإدراك والإبداع، وهي تتشعب إلى أشكال لسانية متعددة تهدف لتحقيق التواصل بين الأفراد، وإلى صياغة الإنتاج العلمي، والثقافي، والإبداع الأدبي والفن

ويذكر الباحث مصطفى أن اللغة ووظائفها تتعرض لعدد من عوامل الاختلال في فترات الركود الثقافي، والضعف السياسي ما قد يؤثر في أصالتها وصفائها، لكنها استطاعت في فترات ازدهارها استيعاب تراث الفرس والهند والرومان، لافتاً إلى أن اللهجات المحلية على مستوى الوطن العربي كقنوات للتعبير أثرت في اللغة العربية الفصحى ودورها، كما أن مواقف المثقفين منها متوزعة بين الدعوة إلى الجودة والكيف من جهة، وإلى الفعالية والتداول من جهة أخرى، ولتجاوز الوضع الذي تعيشه اللغة يقتضي الأمر طرح المسألة اللغوية طرحاً موضوعياً وفق مناهج لسانية علمية، تنقح الأداة اللغوية حيث تكون وسيلة ميسرة

للتواصل والإبداع العلمي والفلسفي، والأدبي، وأن تكون سهلة التمثل والتطبيق، فاللغة العربية الفصحى أكدت عبر تاريخها الطويل قدرتها الذاتية على التكيف مع المناخ الحضاري العام، وذلك لقدرتها على استيعاب المفاهيم، والمصطلحات عن طريق الاشتقاق والنحت، والقياس، والمجاز، فهي كنسق تعبيري مشترك بين سكان الوطن العربي قادرة على تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، وهي من أقوى عوامل الوعي العربي الوحدوي حسب الباحث.

أهمية اللغة العربية في التوحيد القومي :

إن اللغة العربية من أهم أسس البناء القومي فلها دورها الفاعل والمحرك والموجه الوحدوي، وتلعب دوراً مركزياً في إنتاج الوعي القومي، قاعدته أن اللغة العربية هي عامل في التكوين الاجتماعي والقومي، وأن التطور اللغوي مرتبط بالتطور الاجتماعي كما أن اللغة أداة تعبير عن الواقع العربي، وهي وسيلة للتنمية الثقافية بالمعنى المجتمعي كمكافحة الأمية وإشاعة الأفكار العقلانية، واستحضار التاريخ، إضافة إلى أنها تشتغل على الذاكرة العقلية والوجدانية الداخلية، وحتى العاطفية، فالقصص والأغاني، والحكايات، والأشعار، والملاحم، والبطولات كلها تصل عبر اللغة ومفرداتها ومعانيها، وتشكل الوجدان الجمعي للمجتمعات والأفراد فتوحد عواطفهم ورؤاهم وتوجهاتهم.

كما أن اللغة هي الإطار الذي يحدد خصائص الآمة كما أنها تعمق الشعور بالانتماء للجماعة من خلال تنمية الإحساس بوحدة الرابطة العقلية والنفسية والوجدانية التي تشد الأفراد إلى بعضهم، وهي وعاء خبرات الأمة وتجاربها، أثبتت التصاقها بالبيئة الاجتماعية والحضارية ذات السمات الإنسانية عبر أنواع الدلالات اللغوية الثلاث، (الحقيقية، والمجازية، والثقافية) التي تظهر جلية في لغة العلم، ولغة الأدب «الشعر والنثر

مؤثرات عقلية

إن الثقافة الأصيلة تطرح لغة أصيلة، واللغة الأصيلة والثقافة الأصيلة لا تظهران إلا من أصالة المثقفين، واقتدارهم العقلي والعلمي على الإنتاج الثقافي السليم، فاللغة لا يمكن أن تكون إلا أساساً ومرتكزاً في بناء الوعي القومي، فعبر اللغة العربية وإنتاجها المعرفي تنتج ثقافة الوعي الوحدوي، وهي ثقافة مؤثراتها عقلية محاكمة حول الوحدة وحاجتها، وعاطفية وجدانية من حيث إيقاعها ووسائل التعبير، وأثر ذلك في تكوين الوجدان العاطفي الوحدوي، واندفاعاته المحفزة، فمعادلة التأثير اللغوي في رأيي هي عقلية وعاطفية وجدانية، وهي حافز للشعور بالانتماء للجماعة القومية من خلال التواصل والتفاهم. ولابد وأن نشير إلى أن المشكلة الكبيرة في وجه اللغة هي «الأمية» في الوطن العربي، وأثر ذلك في إضعاف تأثير اللغة ودائرة فعلها، لذا فالنهوض باللغة العربية يحتاج لجهود رسمية وشعبية وعلى كل المستويات، وفي كل المجالات، وليكن مشروعاً قومياً.

اللغة العربية والإعلام :

أ – التعريف بوسائل الإعلام :

الإعلام في اللغة : مصدر الفعل (أعلم) ومجرده الثلاثي (علم) والعلم نقيض الجهل : فالعلم هو حصول المعرفة بنقلها من نص إلي ذهن .

أما في الاصطلاح فيعرفه العالم الألماني (أوتوجروت) بأنه " التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير " ويعرفه عبد اللطيف حمزة بأنه "تزويد الجمهور بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة" وبقدر ما تكون هذه الصحة أو السلامة في المعلومات أو الحقائق ربما يكون الإعلان في ذاته قويا

والإعلام في عصرنا الحديث قد اتخذ صورا وأشكالا عديدة خاصة مع التطور العلمي والتقني الكبير فتعددت الوسائط الإعلامية بين المرسل والملتقي مما جعل الوسائل الإعلامية تأخذ حيزا مهما في حياة الناس ، بل أصبحت تمثل جانبا أساسيا من حياتهم ومعيشتهم ، فهذه الوسائط جميعها قد استخدمت في مجالات تعزيز القيم الروحية والتأثير السياسي والثقافي والاجتماعي علي الناس ، وكما يذكر الدكتور ،

فائز الصائغ في المجالات الأساسية لوسائل الإعلام (الصحافة و الإذاعة و التلفاز و السينما والمسرح) فهذه كلها تشكل فرصا جيدة للاختلاط والنشاط البشري .
وتلعب وسائل الإعلام دورا مهما في التقارب بين الناس وفي تطورهم الروحي ونشاطهم الثقافي والاجتماعي والجانب الأهم من ذلك أن لتلك الوسائل تأثيرا مهما علي تطور وانتشار اللغات ، واللغة كذلك تمنح وسائل الإعلام إمكانية القيام بمختلف الوظائف الاجتماعية .
لقد تم اختراع الحامكي (جرامفون) وجهاز تسجيل الصـوت والمـذياع (الراديو) والتلفاز و(الفيديو) والسينما والهاتف الرائي ثم الحاسب الآلي بكل أشكاله وأنواعه وشبكة الاتصال الإلكتروني (لإنترنت) وهذه كلها أدوات تصل الإنسان بالإنسان وعن قرب ، بل يمكن اعتبار جميع الأجهزة والأدوات السمعية البصرية التي اخترعها الإنسان حتى وقتنا الحاضر ومن ضمنها وسائل الإعلام الداخلي والخارجي (أجهزة الاتصال عبر الأقمار الصناعية) وأجهزة التعليم والتقنيات التربوية التقليدية (الإلكترونية) الحديثة كلها وسائل للاتصال والتعامل والاختلاط الاجتماعي غير المباشر ،" وعن طريق هذه الأجهزة والأدوات يتخاطب الناس والأفراد والجماعات ويتبادلون الآراء والخبرات وينقل بعضهم إلي بعضهم الآخر المعارف والأفكار " وهكذا فإن الإنسان المعاصر بأفراد مجتمعه عن طريق هذه الأجهزة يبدو في تزايد مستمر حتى ليكاد اتصاله عن طريق بعضها بأبناء جنسه يطغى في كثير من نواحي حياته على اتصاله المباشر بهم ، وفي ذلك كله ما يكسب هذه الأدوات قدرا كبيرا من القوة والأهمية في اكتساب اللغة ، ويجعلها في الوقت نفسه أدوات لا تخلو من الخطورة
علاقة اللغة العربية بوسائل الأعلام :
تعتبر اللغة إحدى الركائز الأساسية للإذاعة والتلفزيون كما للصحافة والسينما والمسرح وهذه الوسائل تؤدي وظائفها بمساعدة اللغة التي هي وسيلة للاختلاط وأساس للتعبير عن الأخبار
" وتؤكد الحقائق أنه من الصعوبة بمكان أن تضطلع أي من أجهزة الأعلام – سواء كانت سمعية أم بصرية أم مقروءة أم شفهية – بالدور المنوط بها دون استخدام رموز اللغة "
والعلاقة بين الإعلام وعلوم اللغة إنما هي علاقة عضوية لا تفصم عراها شأنها في ذلك شأن العلاقة بين الطفل وأمه ، فكما يصعب على الطفل أن ينمو نموا طبيعيا ويكتسب معطيات الحياة من حوله بصورة تلقائية بدون أمه ، فكذلك فإن الإعلام لا يمكن أن يجد التربة الخصبة التي ينمو فيها والمجال الذي يمارس فيه نشاطه بدون لغة تصوغ رسائله وتنقل الأفكار التي تتضمنها وكذلك فإن اللغة الإنسانية ستؤول إلي الذبول دون الاتصال بين أفراد المجتمع البشري من خلال إحدى وسائل الإعلام التي تعطي هذه اللغة قيمة وتعطي لرموزها معنى .
لما كان الإعلام الوسيلة الأهم فعالية في تربية الجيل حيث يقضي الإنسان ساعات مستمعا ومشاهدا ما يعرض من برامج تلفازية ، أو مصغيا إلي ما يقدم من برامج لإذاعية ، أو قارئا ما يكتب في الصحف والمجلات – فإن الدور التوجيهي للإعلام أصبح أشد تأثيرا من الدور التوجيهي للمؤسسات التعليمية في بعض الأحيان ، مما دفع الباحثين إلي القول " إن الإعلام هو المنهج التربوي الأول والمدرسة هي المنهج التربوي الثاني "
وإذا كان للإعلام هذا الأثر الكبير في الحياة اللغوية والثقافية وأن اللغة كما هو معروف تكتسب بالسماع والمحاكاة فإن أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية حين تلتزم العربية السليمة هي أحسن مصدر لتعليم اللغة ومحاكاتها والتقريب بين اللغة السليمة واللغة المحكية " وتعتبر اللغة العربية من أصلح اللغات ، وذلك لأنهـا تتمتـع (بالدينامية) أو الحركية التي تجعلها أصلح اللغات لطبيعة الإعلام وتمنحها طواعية في لإيراد حادث وقع حالا يبعث علي الاهتمام .
فاللغة تضم في ثناياها خصائص لغة الإعلام وهي بيان العلاقات المتغيرة بين الإنسان والإنسان وبين المرء وبيئته الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو المادية أو غير ذلك من العلاقات .

وعلى ذلك فإن اللغة العربية تجيب طواعية علي الأسئلة التي تجول في خاطر رجل الإعلام وهي " ماذا حدث وماذا يجري الآن ؟ هل من جديد؟ ويرجع ذلك إلي وجود الخصائص الإعلامية الأصلية في اللغة العربية والتي تبين تكيفها وفقا للقوالب الإعلامية المختلفة بحيث استخدمت في الصحافة الحديثة وفي الوسائل الإعلامية المستحدثة .

" وقد اكتسبت اللغة الإعلامية هذه المرونة من امتياز الفصحى بالعمق الذي يجعلها تنبض بالحياة ، والذي يجعلها تقوم علي الترجمة الأمينة للمعاني والأفكار ، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع "

ويتبين لنا أن اللغة العربية تمتعت بخصائص إعلامية تجعلنا نلاحظ أنها تتفق مع غايات الإعلام الحديث من حيث أنه أداة وظيفية وليست فنا جماليا يقصد لذاته .

ولاشك أن هناك بعض الدعاوى التي تتهم اللغة العربية بالقصور في النهوض بلغة الإعلام ، ويشيعون أن العامية هي لغة التفاهم والتداول بين أبناء الوطن حتى مع الصفوة من المثقفين أهل الفكر وشيوع العامية في أجهزة الإعلام ومن ثم بين الجماهير لا يتم إلا على حساب الفصحى وفي هذا إهدار للغة الأمم وعدم الاهتمام بأصولها وقواعدها فتتداخل العامية مع مفردات الفصحى .

ويتضح أن دعاوى استخدام العامية في وسائل الإعلام لا تعتبر تعبيرا موضوعيا فإن اللغة العربية الفصحى التي تحملها أجهزة الإعلام هي التي يفهمها من يتكلمون العربية علي كافة الأصعدة وفي مختلف المستويات وبين الشعوب العربية ، فاللغة العربية الفصحى هي اللغة الوحيدة التي يلتقي عندها أهل العربية في جميع أقطارهم يتكلمون ويكتبون بها فإذا التزم رجال الإعلام بالقواعد اللغوية الصحيحة وحرصوا علي اتخاذ الفصحى لغة حديث وكتابة يقدمون بها برامجهم ويكتبون مقالاتهم وأحاديثهم ويعبرون بها عن مختلف الأمور كان ذلك يدل علي رقي اللغة العربية في جميع مجالاتها .

ولاشك أن اللغة العربية تتوفر فيها خصائص اللغة الإعلامية مما يساعد أن تكون هذه اللغة هي اللغة السائدة في أجهزة الإعلام العربية

دور الإذاعة والصحافة في النهوض باللغة وتطويرها [5]

مما لا شكَّ فيه: أنَّ وسائل الإعلام مؤثِّر مباشر على لغات الناس وطريقة استعمالهم للغة، وأن تطوير الإذاعة والصحافة لغويًّا من أسباب النهوض باللغة، وفي هذا البحث أحاول عرض بعض المقترحات في هذا الشأن، والله من وراء القصد.

أولا: الإذاعة:

يبرز دور الإذاعة في تطوير اللُّغة من خلال البرامج المختلفة ذات الجماهيرية الواسعة، حيث قد يؤثِّر برنامج إذاعي يُقدَّم في دقائق معدودة ما لا تؤثِّره عشرات الكتب، فلا شك أنَّ للكلمة المسموعة ما ليس للمكتوبة من التأثير؛ لسهولة متابعتها، وعدم احتياجها إلى مهارة القراءة، ووجود القدوة العمليَّة في مقدِّم البرنامج، وغير ذلك من أسباب.

والمثال الإيجابي البارز فيما يخصُّ هذا البحث برنامج "لغتنا الجميلة"، الذي قدَّمه الإذاعي فاروق شوشة ـ خريج كلية دار العلوم ـ منذ أول سبتمبر عام 1967م واحتوى على وسائل متعدِّدة للتطوير اللغوي وتنمية الوعي لدى القرَّاء، فكانت مادَّته تضمُّ: نفحات من بلاغة القرآن، وتحقيقات لغوية في لغة العصر وعلاقتها باللُّغة العربيَّة العامَّة، إضافة إلى ما أقرَّه مجمع اللُّغة العربيَّة، ولمحات جمالية في بعض العناصر البديعية في اللُّغة، وكنوز من النصوص القديمة والحديثة، فضلاً عن بعض الطرائف والـمُلَح اللغوية .

---

[5] يُنظر بحث: (ضرب من التطور في الصحافة العربية)، للدكتور إبراهيم السامرائي ، مجلَّة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللُّغة العربية وآدابها، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني والعشرون، ربيع الأوّل عام 1422 هـ، ص422 وما بعدها / وأنظر

وهذا التنوُّع في المادَّة المقدَّمة إذاعيًّا في البرنامج المذكور، واختيارها المبني على معايير من الجودة والسلاسة والجمال والقرب من الذوق العصري، جعل للبرنامج قبولاً لدى المستمعين، وتأثيرًا إيجابيًّا عليهم، حتَّى لدى مَن كان منهم من العوامِّ أو غير المتخصِّصين؛ فالنماذج العمليَّة الجماليَّة محبوبةٌ قريبةٌ من النفوس، وهي الطريقة المثلى لتعلُّم اللغات، عكس القواعد والحدود والتقسيمات المنطقيَّة الجافَّة .

ثانيا: الصحافة:

مع تراجع أثر التعليم، وهبوط شعبية الكتاب، وسوء حال دور النشر، وانتشار ثقافة الصورة، أصبح الناس يقرؤون الصحف أكثر مِمَّا يقرؤون الكتب، وأصبح للغة الصحافة دورٌ كبير في تغيير اللُّغة لدى الناس؛ لأنَّ "اللُّغة العربيَّة اليوم لم تعد اللُّغة التي يعرفها الباحثون في التراث العربي القديم؛ فقد أصابها كثير من التغيير: في معجمها، وفي طريقة بناء الجملة فيها، ولم يعد تجاهل هذه التغييرات يجدي كثيرًا، ولم يعد يجدي أيضًا التغاضي عن المصاعب التي يعاني منها العلماء والمترجمون عندما يقصدون إلى التعبير الصحيح، وإن الأمر يقتضي جهدًا كبيرًا في سبيل تطويع اللُّغة للوفاء بحاجة هؤلاء وأولئك، وهذا يلقي عبئًا كبيرًا على كاهل العلماء واللغويين لتحقيق هذا الهدف "

ولعلَّ الاطِّلاع على بحث للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ـ رحمه الله ـ يوحي بالأثر الَّذي تتركه لغة الصحافة على اللُّغة العامة، حيث استطاع في بحثه "ضرب من التطور في الصحافة العربيَّة" أن يُحصي ويتتبَّع ألفاظًا وتراكيب شاعت في لغة الصحافة المعاصرة في المشرق العربي، وفيها شيء من الخروج على المألوف من قواعد العربيَّة، لكنَّه لم يجد غضاضة في قبولها والعمل بها؛ "لأنَّها تمثِّل عربيَّةً جديدةً لا تضارُّ لغتنا لو أدخلناها فيها، وهي تمثِّل لغة جديدة أحدثها صحفيون ليس لديهم حسٌّ لغويٌّ يميِّز بين الخطأ والصَّواب."

يقول رحمه الله: هذه العربيَّة قد اكتسبت الشيوع حتى راحت تغزو مساحات واسعة في الذي يُقال والذي يُكتب، ولست بعيداً عن هذا الذي تقرؤه في الصحف وأنت تسمع المعربين في البيت والمدرسة والجامعة والمسجد ، ومن ثَمَّ فليس لك أن ترمي جملة هذا بـ"لغة الجرائد"، ولا أحسبه يقصد عموم الإقرار لهذه الأساليب والموافقة عليها بقوله ذلك؛ ولا سيَّما أنَّه يعترف بفساد النَّظم وسوء التَّركيب في بعض تلك التَّراكيب.

ويمكن إيجاز أهمِّ النقاط الَّتي أشار إليها الدُّكتور السَّامرَّائي في بحثه المذكور ـ مِمَّا يحدد خصائص أسلوبية للغة الصحافة ـ في الأمور الآتية:

1 ـ إنَّ من خصائص هذه اللُّغة المتأثرة باللغات الأعجمية من إنكليزية أو غيرها ، طول الجمل بحيث يأتي ما ندعوه المسند إليه في ابتداء الكلام، ولكنَّك لا تظفر بالمسند الذي يتم به المعنى إلا بعد كلام طويل ، وقد يتجاوز هذا المعترض في طوله حدًّا يكاد القارئ فيه ينسى أول الجملة .

2 ـ إن ابتداء الكلام بـ"كما" يأتي بعدها جملةٌ طويلةٌ معلَّقة في فهم المراد منها على كلامٍ آخر مبدوءًا بقولهم : "فإنَّ أيّة دولة ... " يُشعر القارئ أنَّ القائل أراد بـ"كما" ما يراد من أدوات الشَّرط ، وأنَّ الأسلوب شَرطيٌّ، ومجيء الفاء يشعر بهذا. وليس هذا مِمَّا نعرفه في العربيَّة ، ولكنَّه جديدٌ حفلت به العربيَّة المعاصرة.

أمَّا إذا ابتعدنا عن مجال الصواب والخطأ واستحداث لغة جديدة فإنَّ لغة الصَّحافة ـ من حيثُ الأسلوب ـ تُعدُّ أيسر وأبعد عن التعقيد من غيرها، من ناحية المفردات والرصف اللغوي، وأسلوبها "هو الأسلوب الذي يجتمع الناس على فهمه، وعلى محاكاته حين يتكلمون أو يكتبون"، ولذلك يجب الحرص على أن تكون هذه اللُّغة ذات استعمال للرخص اللغوية من غير انحدار إلى تحطيم القواعد أو إلغائها، لعلَّها حين تكون كذلك تصبح مدعاةً إلى إقبال الناس على العربيَّة واستعمالها وفهمها.

ولعلَّ الإدراك بمستويات للفصاحة ـ بين العربيَّة العامية والعربيَّة الفصيحة ثمَّ الفصحى ـ يرشد إلى تقبُّل العمل على نشر العربيَّة الفصيحة، بمعنى الحد الأدنى من الفصاحة مع الاحتفاظ بالصواب؛ إذ هو الهدف الأقرب إلى التحقيق، ومن الصُّعوبة بمكان أن نضع الفصحى هدفًا.

والملاحَظ في لغة الصحافة أنَّ أخطاءها تنتج في الغالب عن عدَّة أسباب، منها:
1 ـ الضَّعف العامُّ للسَّليقة اللُّغويَّة ، الَّذي لا ينجو منه إلا القليل.
2 ـ ضعف نظام التعليم في الدول العربيَّة عامَّة، وعدم اختيار الطلاب للتَّخصُّصات التي يدرسونها بشكل عملي مدروس .
3 ـ أنَّ مناهج الدراسة التي يدرسها خريجو كليات الإعلام تساهم في ترسيخ ذلك الضعف، وليس فيها ما يمكن أن يعالجه أو يحدَّ من آثاره .
4 ـ إقبال الإعلاميين عمومًا ـ والصحفيِّين خصوصًا ـ على الترجمة من مصادر المعلومات الغربية، وجرأتهم على الترجمة كما يعنُّ لهم، من غير استعانة باللغويين، وانبتات صلتهم بالجامعات ومراكز البحث، فضلاً عن المجامع اللغوية وما لها من قرارات فيما يخصُّ الترجمة، بل إنَّ بعض العاملين في الصحافة قد لا يُدرك نشاط المجامع وجهودها في مجال الترجمة.
5 ـ الاستعانة بغير المتخصِّصين في مجال (المراجعة اللغويَّة) داخل الصحف، نظرًا لفوضى تلك المهنة وعدم وجود ضوابط لتنظيمها.
وتجدُرُ الإشارة هنا إلى بعض الأخطاء اللغوية في الصحافة الناتجة عن الترجمة الارتجاليَّة، كاستخدام تعبير (القوَّتان الأعظم) في الصحافة، حيث يأتي الوصف غير مطابق للموصوف المقترن بـ(أل)، ترجمةً ركيكةً للمصطلح الإنجليزي المقابل(The Two super-powers) ، والصورة الفصيحة لذلك التعبير أن يأتي الوصف مطابقًا للموصوف فيُقال: (القوتان العُظمَيان وهذه من البدَهيَّات الَّتي يدركها أصغر طالب يدرس اللُّغة العربيَّة، فضلاً عن أن تحتاج إلى مراكز البحث أو المجامع اللغوية .
ومنها أيضًا استعمال الكاف في قول القائل: " التي تُعرَف كمنطقة"؛ إذ هو مأخوذ مما يقال ويكتب في اللغات الغربية، وهي ليست كاف التشبيه في العربيَّة ، غير أنها دخلت هذه العربيَّة المعاصرة وشاع استعمالها، وكذا قولهم: "في إطار الخطط"؛ حيث هو من التعابير الجديدة التي تومئ إلى أصلها في لغات أعجمية غربية؛ فهي في الفرنسية"dons le cadre" ، وقولهم كذلك: "من خلال" ترجمةً لكلمة إنكليزية هي "Through"
وفي الختام أشير إلى بعض النقاط المهمة؛ تلخيصًا لما سبق، ووضعًا للحلول بعد عرض المشكلة:
فمما سبق عرضه يتضح:
1 ـ أنَّ المناهج الدِّراسيَّة المعتمدة في كلِّيَّات الإعلام مسؤولة بشكل مباشر عن ضعف اللغة العربيَّة في وسائل الإعلام.

2 ـ أنَّ انعزال الصحافة عن المؤسَّسات العلميَّة اللغويَّة أدَّى إلى انحدار مستواها اللُّغويِّ، مع كونها من أهمِّ وسائل التأثير في اللغة لدى المجتمع.
3 ـ أنَّ غياب القوانين الخاصَّة بحماية اللُّغة العربيَّة ـ سواء من ناحية التَّشريع أو من ناحية التَّنفيذ ـ سببٌ في الفوضى اللُّغويَّة السَّائدة، وبخاصَّةٍ في مجال الإعلان.
ومن المقترحات التي تساهم في حل هذه المشكلة:
1 ـ تعديل مناهج كلِّيَّات الإعلام، وإقرار إدخال اللُّغة العربيَّة إليها بكثافة، بحيث تكون مواد اللُّغة العربيَّة في تلك الكليات إحدى معايير الجودة.
2 ـ تعديل مناهج أقسام اللغة العربيَّة أيضًا، بوضع مقرَّرات تربط الطالب بالمجتمع وفئاته المختلفة، وتسهم في تأهيله لسوق العمل، ومن المقررات المقترحة: الأخطاء اللغوية الشائعة، وقرارات مجامع اللغة العربية.
3 ـ عناية الهيئات الإذاعية بتقديم عدد مكثَّف من البرامج الَّتي تُعنى بشؤون اللُّغة العربيَّة، والحرص على جعلها على مستوى رفيع.

4 - ربط المؤسَّسات الصحفية بمجامع اللُّغة العربيَّة، عن طريق مكتب اتِّصال لغوي يتولَّى تعميم ما يستجدُّ من قرارات المجامع، ويضع دورات خاصَّة بالصحفيِّين تركِّز على الأخطاء اللغوية الشائعة وردِّها إلى الصواب، وكذلك العناية بالترجمة السليمة.
5 - تنظيم مهنة (المراجع اللغوي) وما يشابهها، وإنشاء نقابة خاصة بها؛ لتحقيق ذلك التنظيم بضوابطه المعتمدة، وحماية المهنة من الدخلاء، وحفظ الحقوق للمشتغلين بها؛ تشجيعًا للمؤهَّلين وأصحاب السليقة اللغوية العاملين في ذلك المجال.
6 - تفعيل التعاون بين أقسام اللُّغة العربيَّة في الجامعات من ناحية، والهيئات الرسمية للدولة ووسائل الإعلام، عن طريق عدد من الوسائل، منها:
أ .إنشاء مكتب لغوي في كل جهة من تلك الجهات، يتولَّى مهمة التدقيق اللغوي للمستندات الرسمية الصادرة، على غرار المكاتب الإعلامية.
ب .إجراء دورات تهدف إلى تنمية الملكة اللغوية لمنسوبي تلك الجهات، من الناحية الصوتية لتنمية فصاحة اللسان، ومن الناحية الكتابية لتقليل حجم الأخطاء الإملائية والأسلوبية.
ج .إنشاء لجان تختصُّ بتدقيق اللوحات الإعلانية ، والإشراف على محلات الخطاطين والرسامين والمصممين، برسوم ميسَّرة، بحيث تشكِّل تلك الرسوم موردًا يموِّل ما ورد في البند (أ) والبند (ج) المذكورَين

أهمية اللغة العربية التاريخي في تحقيق الترابط المجتمعي :

تعتبر اللغة العربية من الروابط التي تجمع المجتمع المسلم ، والارتباط بين الإسلام والعربية يعد من أروع إعجاز الإسلام فالإسلام قد أخرج اللغة من نطاقها الضيق بأن جعلها أداة الفكر والروح ، مما قد مهد الطريق أمام الشعوب الأخرى كي تنضوي تحت راية الإسلام وتتعلم العربية وتصنع الحضارة ، لأن الحضارة لم تأت إلا عن طريق اللغة ، والحضارة في نوع من التعريف الموجز هي لغة ، لذا فإن اللغة العربية قد استطاعت جمع الشعوب المختلفة الأعراق والأجناس لتصنيع رقيا حضاريا عاشه العالم ردحا من الزمن ، والملاحظ لارتباط الإسلام والمسلمين باللغة العربية نجد أن العصر الزاهر من الحضارة الإسلامية ارتبط فيه المسلمون باللغة العربية ، وعندما قامت النعرات القومية والطائفية وتخلي المسلمون عن اللغة العربية كان ذلك إيذانا بتخلي المسلمين عن الريادة الحضارية ، وفي هذا السياق يقول شكري فيصل : " لابد من تحديد هذا اللقاء بين العرب والمسلمين في أحضان اللغة وفيما تضئ هذه اللغة من أفاق الفكر والعلم ، وما تخلق من أجواء الحضارة الواحدة ، وبخاصة إن استطاع هؤلاء العرب أن يمنحوا هذه اللغة عبقريتهم وأن يفتحوا عبقريتها " ، ولا شك أن الوضع الذي وصلت إليه الأمة في هذا الزمن ناتج عن تخليها عن جزء كبير من هويتها ، وهذا التنازل عن ركن من أركان الحضارة العربية قد أثر تأثيرا كبيرا في وضع الريادة لهذه الأمة ، لذا لا ينبغي للباحثين في أسباب النهضة إغفال هذا الجانب عند بحثهم في قضايا نهوض الأمة وسبل عودتها إلي دورها القيادي في العالم

اللغة العربية وتراث الأمة :

لقد أحب اللغة العربية أقوام اعتنقوا الإسلام حين وجدوا فيها الأداة التي تصلهم بالقرآن الكريم وبعلوم الدين ، فعكفوا علي العربية يدرسونها وامتزجت بأرواحهم ودمائهم فألقوا في مختلف الفنون ، وعبروا بها عن مشاعرهم وأحاسيسهم وقدموا إلينا روائع في الأدب شعره ونثره وملاحمه وقصصه

يقول المفكر (جورج سارتون) : " لقد حقق العرب عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطي فكتبوا أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها نفعا باللغة العربية التي كانت في منتصف القرن الثامن لغة العلم الراقي " لأن الإلمـام باللغة العربية يساعد أبناءنا علي الاستمتاع بما تصفه من روائع وكنوز في تراثهـا القديم

يقول الثعالبي : " ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف علي مجاريها ومصادفها والتبخر في جلائلها ودقائقها – إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في أثاث النبوة الذي هو عمدة الإيمان ، لكفي بهما فضلا يستحسن فضله ويطيب في الدارين ثمرة "

إن اتساع الفجوة بين أبناء اللغة العربية ولغتنا الجميلة يؤدي إلي زيادة الانفصام بين العرب وتراثهم العريق ، إن عودة العرب إلي تراثهم العريق يعد أقوي عناصر الثروة العلمية الكامنة وإن الشجاعة الفكرية الخافتة سوف تنطلق من عقالها وتتحرر من أسرها ليعود العرب سريعا لاحتلال مكانتهم تحت الشمس

لقد عشق العرب اللغة العربية حتى امتزجت بوجودهم وصارت جزءا من كيانهم ، وقد تكون اللهجات العامية سبب انقطاع بيننا وبين تراثنا العربي وهو تراث كان له دور كبير في بناء الثقافة الإنسانية ، وفي تاريخ العلوم الحديثة باعتراف الغربيين أنفسهم ، فقد كانت مؤلفات العرب الأدبية من شعر ونثر لها أثر واضح في الآداب الغربية في القرون الوسطي ، وفي ذلك يقول جب : " ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لأوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطي "

وسائل الإعلام ودورها في المحافظة على اللغة العربية :

لا شك أن استخدام اللغة العربية الفصحى الموحدة في صحافتنا وإذاعتنا الفضائية يساعد إلى حد بعيد على توحيد رؤانا ونظراتنا وأفكارنا وتطلعاتنا وعلى صهرها في بوتقة قومية عربية مشتركة وتتحمل أجهزة الإعلام في العصر الذي نعيش فيه مسؤولية ضخمة في الحفاظ على اللغة العربية وتقويم اللسان العربي ورعايته وتصحيح الأخطاء التي ترتكب في حق العربية وحماية الجماهير العربية من الانحراف بها ، ذلك أنه إذا ظلت أجهزة الإعلام تهمل الأداء الصحيح للغة العربية فسيبلغ الانهيار مداه ولا يستطيع أي منصف أن ينكر الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام والأثر البالغ الذي يتحدثه في الجماهير إيجابياً وسلبياً ، فلم يعد يقتصر دورها على التبليغ والنشر ولكنه تعدى ذلك تشكيل آراء الجماهير وإعادة بناء عقولهم وزرع اتجاهات عقلية في أذهانهم ، وقد اتفقت كافة الدراسات التي أجريت على تأثير وسائل الإعلام على اللغة أن الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام لم يعد محل شك وأثرها أكان إيجابياً أم سلبياً على الجماهير أصبح حقيقة راسخة ومن ثم فإن دورها في الحفاظ على اللغة وزرع المفاهيم اللغوية الصحيحة في عقول الجماهير وقلوبهم يصبح أمراً مؤكداً.

إن بلداناً كثيرة تخصص أموالاً طائلة كي تحافظ على لغتها نقية ، وكي توفر لها حصناً منيعاً ضد أي غزو ، وربما كان أوضح مثال على ذلك اللغة الفرنسية التي تحاول جاهدة الصمود في وجه الانتشار العالمي للغة الإنجليزية ، وتضعر فرنسا اليوم ميزانيات وخططاً كي تحافظ على لغتها داخل فرنسا وخارجها ، وفي باريس تصدر الأكاديمية الفرنسية باستمرار نشرات تحذر من استخدام الكلمات المستوردة .

ولابد لنا من استخدام وسائل الإعلام المختلفة للحفاظ على اللغة العربية لما لوسائل الإعلام من دور متعاطف ودور متسع يهيمن على كثير من نشاطات حياتنا تنامي تأثيره في عقول الناس وممارساتهم الشخصية والقومية وتصاعد إسهامه في تكوين الرأي العام .

ولكي يكون دور الإعلام متكاملاً وفاعلاً في الحفاظ على اللغة العربية وتحقيق الأمل في الارتقاء بالمستوى اللغوي للجماهير يصبح على أجهزة الإعلام مسؤوليات تضطلع بها فما مسؤوليات الإعلام تجاه اللغة العربية ؟

أ- الإعلام وتنمية الوعي اللغوي:

اللغة كائن حي ينمو وقد دلت البحوث على أن لوسائل الإعلام عامة دوراً مهماً للغاية في تطوير اللغة العربية وقد أضافت أجهزة الإعلام بمختلف وسائلها عبر ما يقرب من قرنين إلى اللغة العربية كلمات وعبارات وتراكيب جديدة مبتكرة ألفها المجتمع على ألسنة الناس سلسة سهلة .

ولغة الإعلام قد أضافت على اللغة العربية عبارات لا تحصى وأَثْرَت حركتها بأن جعلت يها حيوية تتفق مع روح العصر.

وعملية الإنماء اللغوي هذه تتطلب العمل المستمر على فرض رقابة تضمن للغة العربية باستمرار ما يقيها من التحريف وتجعلها دائماً على مستوى الرقي الفكري في كل جيل من الأجيال ويا حبذا تتضافر وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية لتكوين المملكة السليمة في تقديمها للنماذج اللغوية الصحيحة وتعميمها ، وقد يكتمل هذا الدور عندما تضاف الجهود فالكل يعمل في ميدان مقدس ألا وهو لغتنا الجميلة فتقدم دور النشر القصص التاريخي وكتب التراث التي تعيد إلى اللغة العربية رونقها وجمالها وبهذا تتأصل اللغة العربية عند القارئ نطقاً وكتابة ويستشعر القارئ روعة اللغة العربية فيحبها ثم يعشقها .

هذا ولابد لوسائل الإعلام أن تفهم اختيار اللفظ والعبارة ومراعاة الكلمات الصحيحة التي تستطيع الجماهير استيعابها وفهم مقاصدها والابتعاد عن الألفاظ الوضعية الغربية غير المألوفة وعدم التكلف في صياغة النصوص الإعلامية ومراعاة مستوى إفهام هذه الجماهير حتى يقبلوا على اللغة العربية الصحيحة ولا ينفروا منها وفي نفس الوقت الابتعاد عن الألفاظ المبتذلة وكذا الإسعاف في اختيار الكلمات الهابطة لعرض المعاني بهدف الارتقاء بمستوى الجماهير ورفع مستوياتهم اللغوية وملكاتهم الفكرية .

ويشير فاروق شوشة إلى هذا الجانب ، ويعني أن أجهزة الإعلام رأس الحربة في هذا المجال ، لأنها تحرك الساكن في بحيرة اللغة ، وتجعلها حية وقادرة حافلة بالإمكانيات في التعبير والتصوير مستجيبة لكل دواعي الحياة الجديدة ومتطلباتها ، قادرة على الوفاء باحتياجات العصر ، حيث يجعل اللغة قادرة على الاستمرار والاتساع لما هو جديد.

ب- الإعلام والارتقاء بالعامية:

تتمتع اللغة العربية بميزات تجعلها جديرة بأن تكون لغة إعلام ويرى الدكتور عبد العزيز شرف / أن اللغة العربية لغة إعلامية تقوم على نسق الفن الإعلامي الحديث مؤكداً على الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها لغة الإعلام ومنها البساطة والمرونة.

والناظر في الصحف يجد على صفحاتها دعايات إعلانية قد كتبت باللغة العامية المبتذلة وهذه الإعلانات التي قد كتبت باللغة العامية نراها منتشرة في كل مكان في الصحف والإذاعة والتلفاز وفي اللافتات المنصوبة على جوانب الطرق من قبل مؤسسات الإعلان التي لا هم لها سوى الكسب المادي .

وهذا الواقع التي تعيشه وسائل الإعلام يساهم في إيذاء اللغة العربية والترويج للأفكار والألفاظ التي تحرف كلماتها وتغير معانيها ، وقد أدى الابتذال واستخدام ألسنة الممثلين وغيرهم إلى تأثر جماهير أجهزة الإعلام ولاسيما الأجهزة السمعية والبصرية بما يسمعون ويشاهدون وشيوع الكلمات المحرفة والمصطلحات المبتذلة بين هذه الجماهير.

ولابد للأجهزة الإعلامية أن تساهم في الارتقاء بمستوى اللهجات العامية التي تقدم بها البرامج بحيث تصبح الألفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولاً على الألسنة تمهيداً لتعميم استعمال اللغة العربية الفصحى في جميع البرامج إذ إن هذه اللغة الفصحى هي الأساس للثقافة العربية ، وتعميم استعمالها يمكن مخاطبة جمهور أوسع ، والفصحى في التلفاز يمكن أن تلقى نجاحاً من جانب المشاهد العربي في الاستقبال ، ذلك أن لغة التلفاز هي لغة المشاركة فالجمهور يشاهد لأنه يبحث عن المشاركة في أحداث ومشكلات من صنع الواقع أحياناً ومن صنع الخيال أحياناً أخرى ، ولقد أصبحت فرص المشاركة الاختيارية اليوم أعظم بكثير بسبب التقدم التكنولوجي في فترتنا هذه.

وفي تصوري أن اتجاه الأجهزة الإعلامية بمختلف أطيافها وسعيها باللغة العربية إنما يساعد هذه الأجهزة على الانتشار الواسع وذلك في ظل الحركة الإعلامية التجارية والأجهزة التي بات يمتلكها الأفراد فالهم التجاري يمكن أن يتحقق لهذه المؤسسات من خلايا إحياء اللغة العربية ، لأن ذلك معناه الوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع العربي والتأثير فيه واجتذاب الجمهور لهذه المؤسسة أو تلك.

اللغة العربية ودورها الحضاري :

اللغة حاجة إنسانية , تحول الأفراد من جماعة بشرية إلى مجموعة ثقافية مترابطة فهي وعاء الفكر وأداة التواصل ووسيلة الوعي وميزة الإنسان وتضيف اللغة العربية على غيرها من اللغات صلتها الشريفة بالقرآن الكريم والثقافة العربية الإسلامية ، فكانت أداة التجانس اللغوي والثقافي في الحضارة الإسلامية بين مختلف الأجناس في المجتمع الإسلامي وحصناً دائماً لهوية الأمة من الذوبان والضياع والتشتت

خصائص اللغة العربية :

إن من خصائص اللغة العربية أنها لغة ضاربة الجذور في التاريخ متميزة بخصائص قل أن توجد في اللغات الأخرى فهي لغة تستنفد "حروفها" من خلال وفائها بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في اللغة وإنما تعتمد على تقسيم الحروف حسب موقعها من أجهزة النطق ولا تحتاج إلى تقسيمها باختلاف الضغط على المخرج الواحد كما يحدث في الانكليزية في تمييز حرف الباء الخفيفة والباء الثقيلة بثلاث نقاط وهكذا .

ويضاف إلى ذلك خصائص التراكيب اللغوية وما فيها من مرونة في التقديم والتأخير والتنوع ونوعية الجملة وبذلك ندرك جمالية اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن المعاني ثم يأتي الإعراب ليحكم المعنى ويرسخه ويزيد من موسيقية اللغة العربية .

العلاقة بين العربية والقرآن :

وفي السياق ذاته فالعلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم حيث اختار الله سبحانه هذه اللغة كلغة للقرآن نظراً لخصائصها المتميزة في التعبير عن المعاني الذهنية والمواقف الإنسانية والحالات النفسية والقصص الماضية والمشاهد الغيبية والحوار والمناظرة بين الأفراد والأمم .

وأما فيما يتعلق باللغة العربية في واقعنا المعاصر "فلاشك أن القرآن الكريم قد تكفل الله حفظه وهذا يعني أن لغته باقية ببقائه ومحفوظة بحفظه" .

وبين أن المشكلة التي نعانيها اليوم هي ازدياد الدعوات الهدامة ضد لغتنا العربية والتي تنادي باستعمال العامية والخط اللاتيني بحجة صعوبة هذه اللغة وعدم قدرتها على مواكبة العصر الحديث .... وهكذا وجدنا أنفسنا من جديد في أزمة تستهدف لغتنا وسرنا نحن العرب بقصد أو بغير قصد فيما رسم لنا من مخططات ضد هويتنا ووجودنا .

خطوات مثمرة للحفاظ على اللغة:

أرى أنه لابد من توافر العديد من الخطوات والمواقف الإيجابية المثمرة حتى يستمر التجانس الثقافي بين أفراد الأمة في العصر الحديث أهمها :

1- تعزيز الثقة باللغة العربية والاعتزاز بها حفاظاً على شخصية الأمة وكيانها وأن أي تفريط بها يعتبر تفريطاً بالهوية والوجود الثقافي مما يقتضي العناية بالتراث الإسلامي وإبرازه .

2 - العمل على نشر اللغة العربية بكل السبل المتاحة ودعم كل الجهود المبذولة في هذا الاتجاه محلياً وعربياً وإسلامياً .

3 - دعم مجامع اللغة العربية مادياً ومعنوياً لتقوم بدورها في نشر اللغة العربية من خلال مناهج دراسية وبرامج إعلامية وكتب منفذة وحركة تقريب جادة .

4 - تأهيل مدرسي اللغة العربية علمياً وخلقياً ومهنياً وتكريمهم وتشجيعهم مادياً ومعنوياً حتى يقوموا بواجبهم في خدمة تلك اللغة على الوجه الأكمل .

5 - وضع مناهج للغة العربية جديدة ومتقنة ومتطورة تنسجم مع مراحل التعليم المختلفة للمختصين وغير المختصين تراعي الجوانب النفسية والفكرية والتربوية والثقافية واللغوية للمتعلم .

6 - اعتماد التقانة الحديثة والمتطورة في تعليم اللغة ونشرها عبر المواقع المدروسة .

7 - الاستفادة من وسائل الإعلام في نشر اللغة الفصحى حديثاً .

8 - إعداد برامج متطورة لتعليم غير الناطقين بالعربية مقروءة ومسموعة ومرئية من خلال نصوص لغوية مدروسة توضح حقيقة حضارتنا وديننا ومبادئنا .
9 - العمل على نشر اللغة العربية في الدول الإسلامية غير العربية عبر مدارس ومعاهد ودورات مع دعم هذا النشاط اللغوي مادياً ومعنوياً .
10 - دعم اتحاد الكتاب والمجامع والجامعات مادياً ومعنوياً في نشر اللغة العربية وإصدار الدوريات والنشرات الخاصة بالعربية .
ولابد وأن نعرف أن العربية لغة مقدسة ارتبطت قوتها بالقرآن الكريم وحين فصلت عنه لسبب من الأسباب ضعفت وانحسر دورها الحضاري فلا قوة لها إلا بعودة ربطها بالقرآن الكريم حتى تقوى وتشتد وتعود الهمة للناطقين بها من جديد ، في الوقت الذي مازالت اللغة العربية في وطننا تعيش تحت وطأة التهميش والاحتقار وأحيانا المحاربة من طرف مدبري الشأن العام الإداري والثقافي والإعلامي واللوبيات المتنفذة التي غيرت وجهة انتمائها، حيث لم يكن الاعتراف برسميتها في النص الدستوري إلا محاولة لتطمين قطاعات واسعة من الشعب مازالت تؤمن بعروبتها، وخير الأدلة الغياب المستمر لأكاديمية اللغة العربية التي وعد بها المغاربة في التصريح الحكومي وقبل ذلك في النصوص القانونية المختلفة، تأتينا من بلدان الخليج ومضات من الآمال تنعش فينا روح الانتماء. وسند هذا الأمل القناعة التي غدت تتولد لدى قطاع واسع من أصحاب القرار في الوطن العربي بجوهرية الانتماء الحضاري في بناء الأمة، ودور المكون اللغوي في الحفاظ على الهوية وتمكين الإنسان العربي من ولوج مجتمع المعرفة والتنمية، خاصة بعد دروس الربيع العربي وعودة روح الأمة التي غيبها الاستبداد لعقود طويلة.
فقد احتضنت مدينة الدوحة القطرية "منتدى النهوض باللغة العربية" في نسخته الأولى بمشاركة العديد من رؤساء مجامع اللغة العربية والباحثين والأكاديميين وممثلي بعض مؤسسات المجتمع المدني. وإذا كانت ساحة العالم العربي قد عرفت وتعرف العديد من الندوات والمؤتمرات والملتقيات التي تصل أحيانا حد التخمة دون أن يكون لها أثر في تغيير واقع الحال، فإن أهمية المنتدى يكتسبها من الفكرة المؤسسة للمشروع التي تقوم على تنسيق الجهود العربية المختلفة رسمية كانت أو أهلية وإيجاد آلية لجمع المشتت في جهات الوطن العربي ومؤسساته. وتتجلى هذه الأهمية في ملامح عديدة:
1. الدور المحوري لدولة قطر الذي غدا بينا وواضحا في رسم السياسة العربية والعالمية مما يشكل قوة دفع للمشروع، خاصة إذا علمنا بالقرار الرسمي الذي بدأ تنفيذه بتعريب مناهج التعليم في المؤسسات الجامعية القطرية، مما يؤكد أن الأمر لا يتعلق بنشاط إشعاعي عابر وإنما باستراتيجية للدولة المحتضنة.
2. الإشراف المباشر على أعمال المنتدى ومتابعتها من قبل حرم أمير قطر الشيخة موزا بنت ناصر مع ما يحمله ذلك من مساندة حقيقية ورسمية لمشروعه وضمانة لتنفيذ مقتضياته ونتائجه بله واهتمام بنتائجه وتوصياته.
3. المشاركة الواسعة للمجمعيين ممثلين في رؤساء جل مجامع اللغة العربية واتحادها، مما أتاح إخضاع جهودهم لمجهر التقييم والمساءلة من طرف الباحثين والأكاديميين والشباب.
4. حضور وازن للباحثين وممثلي منظمات المجتمع المدني في الوطن العربي وأوربا وهو ما مكن من تبادل الهموم والخبرات.
5. الاقتناع العام لدى المشاركين بضرورة مأسسة الفعل الدفاعي عن العربية بما يمكن من تجميع المجهودات والتنسيق فيما بينها وهو ما أثمر توصية البيان الختامي بإنشاء
مجلس أمناء وأمانة عامة للمنتدى بغية تفعيل التواصل بين المبادرة القطرية والمجامع اللغوية في المنطقة.
لقد شكل المنتدى بحق فرصة لتقييم مسار السؤال اللغوي في العالم العربي وتوضيح صورة التماثل والاختلاف بين الأقطار العربية وأجوبتها المتعددة. فقد غدا بينا أنه بعد مدة تكاسل أصحاب القرار

السياسي أو تجاهلوا المسألة اللغوية مما أدى إلى ضياع الهوية وقيم الانتماء الوطني لدى أبناء الأمة، بدأت المبادرات تتوالى في محاولة لتدارك الخلل واسترجاع جوهرية العربية في بناء الذات الوطنية.
فقبل مدة أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة مشروعا لتعزيز الهوية الوطنية من خلال حملة "لغتنا هويتنا" المرتكزة على تعزيز وجود العربية في الفضاءات العامة واعتماد اللغة العربية لغة رسمية للتداول والتعاملات والمراسلات الداخلية والخارجية والتقارير ونشر الثقافة الوطنية وتعميمها على الآخرين واتخاذ الإجراءات المناسبة للحد من ظاهرة استخدام اللغات الأجنبية في الشارع العام. كما شهدت المملكة العربية السعودية إنشاء "مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية" بالرياض الذي حددت مهامه في المحافظة على سلامة اللغة العربية وإيجاد البيئة الملائمة لتطوير وترسيخ اللغة العربية ونشرها والإسهام في دعم اللغة العربية وتعلمها وتقديم الخدمات ذات العلاقة باللغة العربية للأفراد والمؤسسات والهيئات الحكومية:
إن المبادرات المتكررة التي بدأت تتناسل في الوطن العربي مستفيدة من مناخ عودة مفهوم الأمة باعتباره مفهوما جوهريا في تشكيل المشترك الجمعي، تثبت أن المسألة اللغوية هي أكبر من مجرد سجال إيديولوجي أو اختيار سياسي يضمن التوازنات الاجتماعية، بل أصبح الاقتناع يتزايد بأن المسألة تتعلق بوجود الإنسان العربي وهويته التي بدأت تتآكل وتنمحي من الساحة بفعل الغزو اللغوي الأجنبي والحروب المتكررة باسم الخصوصية الوطنية أو الحداثة. لذا فالمبادرات المختلفة ، وعلى رأسها منتدى النهوض باللغة العربية، هي خطوات على الطريق الصحيح